

وزين الإيمان في بصيرته . قال السدي : ﴿ كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ جعل في قلوبهم الإيمان . وقال ابن عباس ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ أي قواهم .

وقوله تعالى : ﴿ ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ كل هذا تقدم تفسيره غير مرة ، وفي قوله تعالى : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم . وقوله تعالى : ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ أي هؤلاء حزب الله أي عباد الله وأهل كرامته . وقوله تعالى : ﴿ ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال ﴿ ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا هارون بن حميد الواسطي ، حدثنا الفضل بن عنبسه عن رجل قد سباه فقال : هو عبد الحميد بن سليمان - انقطع من كتابي - عن الذيال بن عباد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري : أعلم أن الجاه جاهان جاه يجزيه الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه ، وأنهم الخامل ذكرهم الخفية شخوصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله ﷺ « إن الله يحب الأخفاء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يدعوا ، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة » فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ وقال نعيم بن حماد : حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة فإني وجدت فيها أوحيتي إلي ﴾ لا تحمد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴿ قال سفيان : يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان رواه أبو أحمد العسكري .

آخر تفسير سورة المجادلة ، والله الحمد والمنة .



وكان ابن عباس يقول : سورة بني النضير

قال سعيد بن منصور : حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ، قال : أنزلت في بني النضير ، ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به ، ورواه البخاري من حديث أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير : قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ؟ قال سورة بني النضير .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنزَلَهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْ هَا فَاقِمْهُ عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

يُخْرِجُ تَعَالَى أَنْ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ يَسْبِغُ لَهُ وَيَجِدُهُ وَيَقْدَسُهُ وَيُصَلِّيُ لَهُ وَيُوحِدُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تسبغ له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ وقوله

تعالى ﴿ وهو العزيز ﴾ أي منيع الجناب ﴿ الحكيم ﴾ في قدره وشرعه . وقوله تعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ يعني يهود بني النضير . قاله ابن عباس ومجاهد والزهري وغير واحد : كان رسول الله لما قدم المدينة هادئهم وأعطاهم عهداً وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه ، فقبضوا العهد الذي كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذي لا مرد له ، وأنزل عليهم قضاءه الذي لا يصد ، فأجلاهم النبي ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة التي ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها ما نتهم من بأس الله ، فما أغنى عنهم من الله شيئاً وجاءهم من الله ما لم يكن بياهم ، وسيرهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة ، فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام ، وهي أرض المحشر والمنشر ، ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر ، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم ، فكانوا يجربون ما في بيوتهم من المنقولات التي لا يمكن أن تحمل معهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ يجربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ أي تفكروا في عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المخزي له في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من العذاب الأليم .

قال أبو داود : حدثنا محمد بن داود وسفيان ، حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي ومن كان معه يعبد الأوثان من الأوس ، والحزرج ، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل رجعة بدر : إنكم أدنيتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لتقاتلن أو لنخرجنكم أو لنسرين إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان أجمعوا لقتال النبي ﷺ ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم فقال « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم يريدون أبناءكم وإخوانكم » فلما سمعوا ذلك من النبي تفرقوا ، فبلغ ذلك كفار قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود : إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ، ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء وهو الخلاخيل ، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ أيقنت بنو النضير ، بالغدر ، فأرسلوا إلى النبي ﷺ : اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك ليخرج منا ثلاثون حبراً حتى نلتقي بمكان النصف ، وليسمعوا منك فإن صدوقك وأمنوا بك آمننا بك .

فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم فقال لهم « إنكم والله لا تؤمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك ، ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه ، فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الحلاء ، فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها ، وكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ نقول بغير قتال ، فأعطى نبي ﷺ أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار ، وكانا ذوي حاجة ولم يقسم من الأنصار غيرها ، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة ، ولتذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله الاستعان .

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير أنه لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا سبعين وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري ، فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر ، وكان معها عهد من رسول الله ﷺ وأمان لم يعلم به عمرو ، فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « لقد قتلت رجلين لأديبها » وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد ، فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين ، وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرفها .

وقال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة : ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله ﷺ عقد لها فيها حديثي يزيد بن رومان ، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا : نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم - فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيرى منا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة .

فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة ، فسأله عنه ، فقال رأيت داخل المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والمسير إليهم ، ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها ، فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها ؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا ، فإننا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن خرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا فقفذ في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله ﷺ أن يجلبهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلصوا الأموال لرسول الله ﷺ ، فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة - سمالك بن خرشة - ذكراً فقرأ فأعطاها رسول الله ﷺ ، قال : ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان : يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب أسلمها على أموالها فأحرزاها .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله ﷺ قال ليامين « ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شأني » فجعل يامين بن عمرو لرجل جعلاً على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيها بزعمون . قال ابن إسحاق : ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق بنحو ما تقدم ، فقوله تعالى : ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ يعني بني النضير ﴿ من ديارهم لأول الحشر ﴾ . قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال : من شك في أن أرض المحشر ههنا يعني الشام فليقرأ هذه الآية ﴿ هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ﴾ قال لهم رسول الله ﷺ « اخرجوا » قالوا : إلى أين ؟ قال « إلى أرض المحشر » وحدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن قال : لما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير قال « هذا أول الحشر وأنا على الأثر » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن به .

وقوله تعالى : ﴿ ما ظننتم أن يخرجوا ﴾ أي في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ﴾ أي جاءهم من أمر الله ، لم يكن لهم في بال كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ أي الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه . وقوله ﴿ يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك ، وهو نقض ما استحسونه من سقوفهم وأبوابهم وتحملها على الإبل ، وكذلك قال عروة بن الزبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد ، وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله ﷺ يقاتلهم فإذا ظهر على درب أو دار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال ، وكان اليهود إذا علوا مكاناً أو غلبوا على درب أو دار تقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودربوها ، يقول الله تعالى : ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ . وقوله ﴿ ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ﴾ أي لو أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبي ونحو ذلك ، قاله الزهري عن عروة والسدي وابن زيد لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث ، حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير قال : ثم كانت وقعة بني النضير ، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر ، وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء ، وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح ، فأجلاهم رسول الله ﷺ قبل الشام ، قال : والجلاء أنه كتب عليهم في أي من التوراة وكانوا من سبط لم يصعبهم الجلاء قبل ما سلط عليهم رسول الله ﷺ وأنزل الله فيهم ﴿ سبح لله ما في السموات وما في الأرض - إلى قوله - وليخزي الفاسقين ﴾ وقال عكرمة : الجلاء القتل ، وفي رواية عنه الفناء ، وقال قتادة : الجلاء خروج الناس من البلد إلى البلد . وقال الضحاك : أجلاهم إلى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيراً وسقاء ، فهذا الجلاء .

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أحمد بن كامل القاضي ، حدثنا محمد بن سعيد العوفي ، حدثني أبي عن عمي ، حدثني أبي عن جدي عن ابن عباس ، قال : كان النبي ﷺ قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم ، وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاء ، والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى . وروي أيضاً من حديث يعقوب بن محمد الزهري عن إبراهيم بن جعفر عن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده ، عن محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام .

وقوله تعالى : ﴿ ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾ أي حتم لازم لا بد لهم منه . وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ أي إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين ، لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين في البشارة بمحمد ﷺ ، وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم . ثم قال : ﴿ ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب ﴾ . وقوله تعالى : ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ اللين نوع من التمر وهو جيد قال أبو عبيدة : وهو ما خالف العجوة والبرني من التمر ، وقال كثيرون من المفسرين : اللينة ألوان التمر سوى العجوة . قال ابن جرير : هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو البويرة أيضاً ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهاباً وإرعاباً لقلوبهم ، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا : فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله ﷺ إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة أي ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشيتته وقدره ورضاه وفيه نكابة بالعدو وخزي لهم ، وإرغام لأنوفهم .

وقال مجاهد : نهى بعض المهاجرين بعضاً عن قطع النخل ، وقالوا : إنما هي مغنم المسلمين ، فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم ، وإنما قطعه وتركه بإذنه ، وقد روي نحو هذا مرفوعاً ، فقال النسائي : أخبرنا الحسن بن محمد بن عفان ، حدثنا حفص بن غياث ، حدثنا حبيب بن أبي عمر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ قال : يستزولونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحاك في صدورهم ، فقال المسلمون : قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً فلنسالن رسول الله ﷺ هل لنا فيها قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيها تركنا من وزر ؟ فأنزل الله ﴿ ما قطعتم من لينة ﴾ وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده : حدثنا سفيان بن وكيع ، حدثنا حفص عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر وعن أبي الزبير عن جابر ، قال : رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم ، فاتوا النبي ﷺ فقالوا يا رسول الله علينا إثم فيها قطعنا أو علينا وزر فيها تركنا ، فأنزل الله عز وجل ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ﴾ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قطع نخل بني النضير وحرق ، وأخرجه صاحبنا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه ، ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر ، قال : حاربت النضير وقريظة فأجل بني النضير وأفر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة ، فقتل من رجالهم وسبى وقسم نساءهم وأولادهم وأمواهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالسيب فأمهم وأسلموا وأجل يهود المدينة كلهم بني قينقاع ، وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود بالمدينة ، ولها أيضاً عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير ، وقطع وهي البويرة ، فأنزل الله عز وجل فيه ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين ﴾ .

ولبخاري رحمه الله من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة ، ولها يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

وهاد على سراً بني لسوي حريق بالسبورة مستطير
فأحابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنيع وحرق في نواحيها السعير
ستعلم أينما منها بنزه وتعلم أي أرضينا نضير

كذا رواه البخاري ولم يذكره ابن إسحاق ، وقال محمد بن إسحاق وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بني النضير وقتل ابن الأشرف :

كذلك الدهر ذو صرف يدور
عظيم أمره أمر كبير
وجاءهمو من الله النذير
وآيات مبينة تنير
وأنت بمنكر منا جدير
يصدقني به الفهم الخبير
ومن يكفر به يجز الكفور
وجد بهم عن الحق النفور
وكان الله يحكم لا يجوز
وكان نصيره نعم النصير
فذلت بعد مصرعه النصير
بأيدينا مشهورة ذكور
إلى كعب أخا كعب يسير
ومحمود أخو ثقة جسور
أبادهمو بما اجترم المبير
رسول الله وهو بهم بصير
على الأعداء وهو لهم وزير
وخالف أمرهم كذب وزور
لكل ثلاثة منهم بعير
وغودر منهم نخل ودور

قال : وكان مما قيل من الأشعار في بني النضير قول ابن القيم العسي ، ويقال : قالها قيس بن بحر بن طريف ، قال

ابن هشام الأشجعي :

أجل اليهود بالحي المزمن
أهضب عودا بالودي الكمم
يروا خيله بين الصلا ويرمرم
عدو وما حي صديق كمجرم
يهزون أطراف الوشيج المقوم
تورث من أزمان عاد وجرهم
فهل بعدهم في المجد من متكرم
تليد الندى بين الحجون وزمزم
وتموا من الدنيا إلى كل معظم
ولا تسألوه أمر غيب مرجم
لكم يا قريش والقلب الملمم
إليكم مطيعاً للعظيم المكرم
رسولا من الرحمن حقاً بمعلم
فلما أنار الحق لم يتلعثم
علواً لأمر حه الله محكم

لقد خزيت بغدرتها الحبور
وذلك أنهم كفروا برب
وقد أوتوا معاً فهما وعلميا
نذير صادق أدى كتاباً
فقالوا ما أوتيت بأمر صدق
فقال بلى لقد أديت حقاً
فمن يتبعه يهد لكل رشد
فلما اشربوا غدرأ وكفراً
أرى الله النبي برأي صدق
فأيده وسلطه عليهم
فغودر منهمو كعب صريعاً
على الكفين ثم وقد علته
بأمر محمد إذ دس ليلاً
فما كره فأنزله بمكر
فتلك بنو النضير بدار سوء
غداة أتاهم في الزحف زهوا
وغسان الحياة موازروه
فقال السلم ويحكمو فصدوا
فذاقوا غب أمرهمو وبالا
وأجلوا عامدين لقينقاع

أهلي فداء لامرئ غير هالك
يقيلون في جمر العضاه وبدلوا
فإن يك ظني صادقاً بمحمد
يؤم بها عمروبن بهثة إنهم
عليهن أبطال مساعير في السوغى
وكل رقيق الشفرتين مهند
ممن مبلغ عني قريشاً رسالة
بأن أحاكم فاعلمن محمداً
فدينوا له بالحق تحسم أموركم
بي تلاقته من الله رحمة
فقد كان في بدر لعمرى عبرة
غداة أتى في الخزرجية عامداً
معانا بروح القدس ينكي عدوه
رسولا من الرحمن يتلو كتابه
أرى أمره يزداد في كل موطن

وقد أورد ابن إسحاق رحمه الله ههنا أشعاراً كثيرة فيها آداب ومواظ وحكم وتفصيل للقصة ، تركنا باقيها اختصاراً واكتفاء بما ذكرناه ، والله الحمد والمنة . قال ابن إسحاق : كانت وقعة بني النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة ، وحكى البخاري عن الزهري عن عمروة أنه قال : كانت وقعة بني النضير بعد بدر بستة أشهر .

وَمَا أَفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ
وَلِلَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَى وَالْمَسْجِدِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَى وَالْمَسْجِدِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَى وَالْمَسْجِدِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْقُرَى وَالْمَسْجِدِ
نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنْتَهُوا وَأَنْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

يقول تعالى مبيناً ما الفية وما صفته وما حكمه ، فالفية كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاب خيل ولا ركاب . كأموال بني النضير هذه فإنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، أي لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاوة بل نزل أولئك من الرعب الذي ألقى الله في قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ ، فأفأه على رسوله ، ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين في وجوه البر والمصالح التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآيات فقال تعالى : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم ﴾ أي من بني النضير ﴿ فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ يعني الإبل ﴿ ولكن الله يسلب رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ أي هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شيء .

ثم قال تعالى : ﴿ ما أفاء على رسوله من أهل القرى ﴾ أي جميع البلدان التي فتحت هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير ولهذا قال تعالى : ﴿ فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ إلى آخرها والتي بعدها فهذه مصارف أموال الفية ووجوهه . قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان عن عمرو ومعمرو عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله ﷺ خالصة ، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته ، وقال مرة قوت سنته وما بقي جعله في الكراع ولسلاح في سبيل الله عز وجل ، هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصراً ، وقد أخرجه الجماعة في كتبهم إلا ابن ماجه من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن الزهري به ، وقد روياه مطولاً .

وقال أبو داود رحمه الله : حدثنا الحسن بن علي ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالوا : حدثنا بشر بن عمر الزهراني حدثني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس قال : أرسل إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تعالى النهار فجئته فوجدته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله فقال حين دخلت عليه : يا مالك إنه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم ، قلت لو أمرت غيري بذلك فقال خذ ، فجاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ؟ قال : نعم .

فأذن لهم فدخلوا ثم جاءه يرفا فقال : يا أمير المؤمنين هل لك في العباس وعلي ؟ قال : نعم ، فأذن لها فدخلت فقال العباس : يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا يعني علياً ، فقال بعضهم : أجل يا أمير المؤمنين اقض بينها وأرحمها ، قال مالك بن أوس : خيل إلي أنها قدما أولئك النفر لذلك ، فقال عمر رضي الله عنه اتد ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي يإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ما تركنا صدقة » قالوا : نعم . ثم أقبل على علي والعباس فقال : أنشدكم بالله الذي يإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ما تركنا صدقة » فقالوا : نعم . فقال : إن الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحداً من الناس فقال تعالى : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلب رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ فكان الله تعالى أفاء على رسوله أموال بني النضير فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم ، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة ، ويجعل ما بقي أسوة المال .

ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذي يإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ذلك ؟ قالوا : نعم . ثم أقبل على علي والعباس فقال : أنشدكم بالله الذي يإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان ذلك ؟ قالوا : نعم . فلما توفي رسول الله ﷺ قال أبو بكر : أنا ولي رسول الله ﷺ ، فجئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ « لا نورث ما تركنا صدقة » والله يعلم انه لصاقد بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر ، فلما توفي قلت أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فوليتها ما شاء الله أن أليها ، فجئت أنت وهذا وأنتا جميع وأمركما واحد فسألنايتها ، فقلت إن شئنا فانا أدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله

أن تليها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها ، فأخذتها مني على ذلك ثم جئتني لأقضي بينكما بغير ذلك والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فإن عجزتما عنها فرداها إلي ، أخرجوه من حديث الزهري به .

قال الإمام أحمد : حدثنا عارم وعفان قالا : أخبرنا معمر سمعت أبي يقول : حدثنا أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال : إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال فجعل يرد بعد ذلك ، قال وإن أهلي أمروني أن آتي النبي ﷺ فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه ، وكان نبي الله ﷺ قد أعطاه أم أيمن أو كما شاء الله قال ، فسألت النبي ﷺ فأعطينيهم ، فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطيكمهن وقد أعطانيهن ، أو كما قالت فقال نبي الله ﷺ « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله قال ويقول « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله ، قال « ويقول لك كذا وكذا » قال حتى أعطها حسب ما قال عشرة أمثاله أو قال قريبا من عشرة أمثاله ، أو كما قال رواه البخاري ومسلم من طرق عن معمر به ، وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خمس الغنيمة ، وقد قدمنا الكلام عليها في سورة الأنفال بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد .

وقوله تعالى : ﴿ كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ﴾ أي جعلنا هذه المصارف لمال الفيء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بحض الشهوات والآراء ، ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء . وقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ أي مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه ، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر . قال ابن أبي حاتم : حدثنا يحيى بن أبي طالب ، حدثنا عبد الوهاب ، حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار عن مسروق قال : جاءت امرأة إلى ابن مسعود قالت : بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة ، أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ ؟ قال : بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ . قالت : والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول . قال : فما وجدت فيه ؟ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ؟ قالت : بلى . قال : فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنائمة ، قالت : فلعله في بعض أهلك ، قال فادخلي فانظري ، فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت : ما رأيت بأسا ، فقال لها : أما حفظت وصية العبد الصالح ؟ وما أريد أن أخالفكم إلى ما نهاكم عنه ؟

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : لعن الله الواشحات والمستوشحات والمتمصحات والتفلجات للحسن ، المغبرات خلق الله عز وجل ، قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب ، فجاءت إليه فقالت بلغني أنك قلت كيت وكيت ، قال ما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى ، فقالت إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته ، فقال إن كنت قرأته فقد وجدته أما قرأت ؟ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ؟ قالت : بلى . قال : فإن رسول الله ﷺ ينهى عنه . قالت : إني لأظن أهلك يفعلونه ، قال : اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا ، فجاءت فقالت : ما رأيت شيئا ، قال : لو كان كذا لما تجامعنا . أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري ، وقد ثبت في الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » وقال النسائي : أخبرنا أحمد بن سعيد ، حدثنا يزيد ، حدثنا منصور بن حبان عن سعيد بن جبيرة ، عن عمرو وابن عباس أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت ، ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ أي اتقوه في أمثال أوامره وترك زواجره فإنه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وارتكب ما عنه زجره ونهاه .

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ الَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا

عِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى مبيناً حال الفقراء المستحقين لمال الفياء أنهم ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ﴾ أي خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿ وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ﴾ أي هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين . ثم قال تعالى مادحاً للأنصار ومبيناً فضلهم وشرفهم وكرمهم ، وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى : ﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ﴾ أي سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وأمنوا قبل كثير منهم . قال عمر : وأوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرفهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم ، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم وأن يعمو عن مسيئهم رواه البخاري ههنا أيضاً .

قوله تعالى : ﴿ يجبون من هاجر إليهم ﴾ أي من كرمهم وشرف أنفسهم يجبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال : قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً في كثير ، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله . قال « لا ما أنئيتم عليهم ودعوتهم الله لهم » لم أره في الكتب من هذا الوجه .

وقال البخاري : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين . قالوا لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال « إما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم أثره » تفرد به البخاري من هذا الوجه . وقال البخاري : حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قالت الأنصار أقسم بيننا وبين إخواننا النخيل ، قال : لا . فقالوا : أتكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة . قالوا : سمعنا وأطعنا . تفرد به دون مسلم ﴿ ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾ أي ولا يجدون في أنفسهم حسداً للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة .

قال الحسن البصري ﴿ ولا يجدون في صدورهم حاجة ﴾ يعني الحسد ﴿ مما أوتوا ﴾ قال قتادة يعني فيما أعطى إخوانهم . وكذا قال ابن زيد وما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله ﷺ مثل مقالته أيضاً ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام رسول الله ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : إني لا حيت أبي فأقسمت إني لا أدخل عليه ثلاثاً ، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي ففعلت قال « نعم » .

قال أنس : فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله : غير أني لم أسمعهم يقول إلا خيراً ، فلما مضت الليالي الثلاث وكدت أن احتقر عمله ، قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لنا ثلاث مرات « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت الثلاث المرات ، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك فاقنتي به ، فلم أرك تعمل كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ قال : ما هو إلا ما رأيت ، فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله : فهذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق ، ورواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به ، وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس ، فالله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى : ﴿ ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ﴾ يعني مما أوتوا المهاجرون ، قال وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى : ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ قال : وقال رسول الله ﷺ « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع ، فقال رسول الله ﷺ « أو غير ذلك » قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال « هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » فقالوا : نعم يا رسول الله . وقوله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ يعني حاجة أي يقدمون المحاويع على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك .

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « أفضل الصدقة جهد المقل » وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى : ﴿ ويظلمون الطعام على حبه ﴾ وقوله ﴿ وآت المال على حبه ﴾ فإن هؤلاء تصدقوا وهم يجبون

ما تصدقوا به ، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به ، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه ، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله ، فقال له رسول الله ﷺ « ما أبقيت لأهلك ؟ » فقال رضي الله عنه : أبقيت لهم الله ورسوله ، وهكذا الماء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه ، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء ، فرده الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم .

وقال البخاري : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أصابني الجهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً ، فقال النبي ﷺ « الا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله » فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله فقال لامرأته : هذا صيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً ، فقالت : والله ما عندي قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية المشاء فنوميهم ، وتعالي فاطفيء السراج ونظري بطوننا الليلة ، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال « لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان به نحوه ، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه .

وقوله تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح . قال أحمد : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن القعني عن داود بن قيس به . وقال الأعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقرع عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعمش ، كلاهما عن عمرو بن مرة به ، وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدأ ، ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدأ » وقال ابن أبي حاتم : ثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أخبرنا ابن المبارك ، حدثنا المسعودي عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال : جاء رجل إلى عبد الله فقال : يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هككت ، فقال له عبد الله : وما ذاك ؟ قال : سمعت الله يقول ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئاً ، فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلماً ، ولكن ذاك البخل وبس الشيء البخل .

وقال سفيان الثوري عن طارق بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الأسدي قال : كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلاً يقول : اللهم قني شح نفسي . لا يزيد على ذلك ، فقلت له ، فقال : إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل ، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه . رواه ابن جرير . وقال ابن جرير : حدثني محمد بن إسحاق ، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، حدثنا إساعيل بن عياش ، حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال : برىء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائية .

وقوله تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفياء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم بإحسان كما قال في آية براءة ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ فالتابعون لهم بإحسان هم المتبعون لأنارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ، ولهذا قال تعالى : في هذه الآية الكريمة ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ﴾ أي قائلين ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا ﴾ أي بغضاً وحسداً ﴿ للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الراضي الذي يسب الصحابة ليس له

في مال الفيء نصيب ، لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم ﴿ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم فسبواهم ثم قرأت هذه الآية ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴾ الآية . وقال إسماعيل بن علي عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ فسيبتموهم . سمعت نبيكم ﷺ يقول « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » رواه البيهقي ، وقال أبو داود : حدثنا مسدد ، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا أيوب عن الزهري قال : قال عمر رضي الله عنه ﴿ وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ﴾ قال الزهري : قال عمر رضي الله عنه : هذه لرسول الله ﷺ خاصة وقرى عربيه وكذا وكذا عما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ، فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل - وللفقراء المهاجرين الذي أخرجوا من ديارهم وأموالهم - والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاءوا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق . فل أيوب - أو قال الحافظ - إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع .

وقال ابن جرير : حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة بن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان قال : قرأ عمر بن الخطاب ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين - حتى بلغ - عليم حكيم ﴾ ثم قال : هذه هؤلاء ، ثم قرأ ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى ﴾ الآية . ثم قال : هذه هؤلاء ، ثم قرأ ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى - حتى بلغ - للفقراء - والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاءوا من بعدهم ﴾ ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة وليس أحد إلا وله فيها حق ثم قال : لئن عشت لبأتين الراعي وهو بسرو حير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه .

﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَاقَفُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَئِكَ الْأَدْبَارُ لَمْ يَأْمُرْ بِالْقِتَالِ ﴾ ﴿١٤﴾

لَأَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى

مُحْتَسِنَةً أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

كَذَلِكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَفَأُوا وَيَالَ أَمْرِهُمُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَذَلِكَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ

قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ

الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَاقَفُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتهم لننصركم ﴾ قال الله تعالى : ﴿ والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ أي لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولا ، ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به ، وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ولئن قوتلوا لا ينصرون ﴾ أي لا يقاتلون معهم ﴿ ولئن نصروهم ﴾ أي قاتلوا معهم ﴿ ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ وهذه بشارة مستقلة بنفسها ، ثم قال تعالى : ﴿ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ﴾ أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقولته تعالى : ﴿ إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ﴾ ولهذا قال تعالى ﴿ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى معصنة أو من وراء جدر ﴾ يعني أنهم من جنهم واهلهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة .

ثم قال تعالى : ﴿ بِأَسْهَمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ أي عداوتهم فيما بينهم شديدة ، كما قال تعالى : ﴿ وَيَذِقُ بِمَعْضِكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ ولهذا قال تعالى : ﴿ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ أي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف ، قال إبراهيم النخعي : يعني أهل الكتاب والمنافقين ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان : يعني كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر ، وقال ابن عباس : كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع ، وكذا قال قتادة ومحمد بن إسحاق ، وهذا القول أشبه بالصواب فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا .

وقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترابهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قولتكم لننصرنكم ، ثم لما حقت أخفائق وجد بهم الحصار والقتال ، تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة ، مثالمهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان - والعياذ بالله - الكفر ، فإذا دخل فيها سوله له تبرأ منه وتصل وقال ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ . وقد ذكر بعضهم هنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل ، لا أنها المرادة وحدها بالمثل ، بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها ، فقال ابن جرير : حدثنا خالد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبد الله بن نبيك قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول إن راهباً تعبد ستين سنة ، وإن الشيطان أراد فاعياه فعمد إلى امرأة فأجنتها ، ولها إخوة فقال لإخوتها عليكم هذا القس فداؤوها ، قال فجاءوا بها إليه فداؤوها وكانت عنده ، فبينما هو يوماً عندها إذ أعجبت فأتاها فحملت ، فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها ، فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك إنك أعيتتني أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك ، فاسجد لي سجدة ، فسجد له فلما سجد له قال إنني بريء منك إنني أخاف الله رب العالمين ، فذلك قوله ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ .

وقال ابن جرير : حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ إنني أخاف الله رب العالمين ﴿ قال : كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأتي بالليل إلى صومعة راهب ، قال إنزل الراهب ففجر بها فحملت ، فاتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل مصدق يسمع قولك ، فقتلها ثم دفنها قال فات الشيطان إخوتها في المنام ، فقال لهم إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكاد كذا وكذا ، فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أنترك ؟ قالوا : لا بل قصها علينا . قال فقصها فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك ؛ قالوا : فوالله ما هذا إلا لشيء قال فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب ، فاتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقية الشيطان ، فقال إنني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري ، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه ، قال فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ قتل . وكذا روي عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فأنه أعلم .

وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فإن جريجاً اتهمته امرأة بغى بنفسها ، وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولي الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول ما لكم ما لكم ؟ قالوا يا عدو الله فعلت هذه المرأة كذا وكذا ، فقال جريج اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ، ثم قال يا غلام من أبوك . قال أبي الراعي وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيماً بليغاً وقالوا نعيد صومعتك من ذهب ، قال لا بل أعيدوها من طين كما كانت . وقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ عَاقِبَتُهَا أَنَّهُمْ فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ أي فكان عاقبة الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ أي جزاء كل ظالم .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَسْتَظِرُّ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

﴿ ١٨ ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ ١٩ ﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ

الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿ ٢٠ ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال :
 كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار ، قال : فجاءه قوم حفاة عراة محتايي النهار أو العباء متقلدي السيوف ، عامتهم من
 مضر بل كلهم من مضر ، فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة ، قال : فدخل ثم خرج ، فأمر بلالاً فأذن وأقام
 الصلاة فصل ثم خطب فقال « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة - إلى آخر الآية وقرأ الآية التي في
 الحشر - ولتنظر نفس ما قدمت لغد - تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره - حتى قال - ولو
 بشق تمره » قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، ثم تابع الناس حتى رأيت كومين
 من طعام وثياب ، حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه كأنه مذهبة ، فقال رسول الله ﷺ « من سن في الإسلام سنة
 حسنة فبه أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجرهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه
 وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » انفرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناده مثله ، فقوله
 تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر .
 وقوله تعالى : ﴿ ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم
 من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم ﴿ واتقوا الله ﴾ تأكيد ثان ﴿ إن الله خير بما تعملون ﴾ أي اعلموا أنه
 عالم بجميع أعمالكم وأحوالكم ، لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب من أموركم جليل ولا حقير وقوله تعالى : ﴿ ولا
 تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ أي لا تنسوا ذكر الله تعالى : فينسبكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في
 معادكم ، فإنجزاء من جنس العمل ، ولهذا قال تعالى : ﴿ أولئك هم الفاسقون ﴾ أي الخارجون عن طاعة الله الهالكون
 يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن
 يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون ﴾ .

وقال الخافظ أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي ، حدثنا المغيرة ، حدثنا جرير بن
 عثمان عن نعيم بن نعمة قال : كان في خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل
 معلوم ، فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله عز وجل فليفعل ، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل ، إن قوما
 جعلوا آجالهم لغيرهم فهاكم الله عز وجل أن تكونوا أمثالهم ﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ أين من
 تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة ، وأين الجبارون الأولون الذين بنوا
 المدائن وحصنوها بالحوائط ؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفتى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ،
 واستضيئوا بسنائه وبيانه ، إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى : ﴿ إهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا
 رغياً ورهياً وكانوا لنا خاشعين ﴾ لا خير في قول لا يراد به وجه الله ولا خير في مال لا يفتق في سبيل الله ، ولا خير فيمن
 يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم . هذا إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات ، وشيخ جرير بن عثمان
 وهو نعيم بن نعمة لا أعرفه بنفي ولا إثبات ، غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيخ جرير كلهم ثقات ، وقد روي
 هذه الخطبة شواهد من وجوه أخر والله أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ﴾ أي لا يستوي هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم
 القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
 ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا
 ما تتذكرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ؟ أم نجعل المتقين
 كالفجار ﴾ . في آيات أخر دلالات على أن الله تعالى يكرم الأبرار ويبين الفجار ، ولهذا قال تعالى ههنا ﴿ أصحاب الجنة هم
 الفائزون ﴾ أي الناجون المسلمون من عذاب الله عز وجل .

لَوْ أَرْنَاكَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ

اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ

الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٤﴾

يقول تعالى معظماً لأمر القرآن ومبيناً علو قدره ، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه ، لما فيه من الوعد الحق والوعيد الأكيد ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ أي فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل ، فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله ، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً ﴾ إلى آخرها يقول لو أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله ، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ، ثم قال تعالى : ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ﴾ وكذا قال قتادة وابن جرير .

وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر ، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد ، فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر ، فعند ذلك حن الجذع وجعل يشن . كما يشن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده ، ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إيراده : فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع ، وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته خشعت وتصدعت من خشيته ، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى : ﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أوقطعت به الأرض أو كلم به الموتى ﴾ الآية . وقد تقدم أن معنى ذلك أي لكان هذا القرآن ، وقد قال تعالى : ﴿ وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ﴾ أخبر تعالى أنه الذي لا إله إلا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواه ، وكل ما يعبد من دونه فباطل ، وأنه عالم الغيب والشهادة أي يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا ، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليلٍ وحقيقٍ وصغيرٍ وكبيرٍ حتى الذر في الظلمات . وقوله تعالى : ﴿ هو الرحمن الرحيم ﴾ قد تقدم الكلام على ذلك في أول التفسير بما أغنى عن إعادته هنا ، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات ، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، وقد قال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ وقال تعالى : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو الملك ﴾ أي المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا مانعة ولا مدافعة . وقوله تعالى : ﴿ القدوس ﴾ قال وهب بن منبه أي الطاهر . وقال مجاهد وقاتدة أي المبارك وقال ابن جريج تقدسه الملائكة الكرام ﴿ السلام ﴾ أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله .

وقوله تعالى : ﴿ المؤمن ﴾ قال الضحاك عن ابن عباس : أي آمن خلقه من أن يظلمهم . وقال قتادة : أمن بقوله أنه حق . وقال ابن زيد : صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به . وقوله تعالى : ﴿ المهيم ﴾ قال ابن عباس وغير واحد : أي الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله ﴿ والله على كل شيء شهيد ﴾ وقوله ﴿ ثم الله شهيد على ما يفعلون ﴾ وقوله ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ الآية . وقوله تعالى : ﴿ العزيز ﴾ أي الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنباه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ الجبار المتكبر ﴾ أي الذي لا تنيق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته ، كما تقدم في الصحيح « العظمة إزازي والكبرياء رادني فمن نازعني واحداً مني عذبت » وقال قتادة : الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء . وقال ابن جرير : الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم . وقال قتادة : المتكبر يعني عن كل سوء ثم قال تعالى : ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور ﴾ الخلق التقدير البرء هو الفري ، وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئاً وربّه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تفري ما خلقت وبعـض القوم يخلق ثم لا يفري

أي أنت تنفذ ما خلقت أي قدرت ، بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد ، فالخلق التقدير والفري والتنفيذ ، ومنه يقال قدر الجلال ثم فرى أي قطع على ما قدره بحسب ما يريده . وقوله تعالى : ﴿ الخالق البارئ المصور ﴾ أي الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد ، والصورة التي يختار كقوله تعالى : ﴿ في أي صورة ما شاء ركبك ﴾ ولهذا قال المصور أي الذي ينفذ ما يريد بإيجاده على الصفة التي يريد .

وقوله تعالى : ﴿ له الأسماء الحسنى ﴾ قد تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف . ونذكر الحديث المروي في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً ، مائة إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة

وهو وتر يجب الوتر، وتقدم سياق الترمذي وابن ماجه له عن أبي هريرة أيضاً وزاد بعد قوله : « وهو وتر يجب الوتر » . واللفظ للترمذي : « هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبدي ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد ، الصمد ، القادر ، المقدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام ، المقسط الجامع ، الغني ، المعطي ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الوارث ، الرشيد ، الصبور . وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير وقد قدمنا ذلك مبسوطاً مطولاً بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا .

وقوله تعالى : ﴿ يسبح له ما في السموات والأرض ﴾ كقوله تعالى : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وهو العزيز ﴾ أي فلا يرام جنباه ﴿ الحكيم ﴾ في شرعه وقدره ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا خالد يعني ابن طهمان أبو العلاء الخفاف حدثنا نافع بن أبي نافع ، عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزل » ورواه الترمذي عن محمد بن غيلان عن أبي أحمد الزبيري به . وقال هريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . آخر تفسير سورة الحشر ، والله الحمد والمنة .

سُورَةُ الْمُتَحَنِّنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْفُوتُمْ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَرِحْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْفِقُكُمْ يُكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُرُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوَىٰ وَوَدُّوا لَوْ كَفَرُوا ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين ، وكان من أهل بدر أيضاً ، وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم ، بل كان حليفاً لعثمان ، فلما عزم رسول الله ﷺ على فتح مكة لما نقض أهلها العهد ، فأمر النبي ﷺ المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال « اللهم عم عليهم خبرنا » فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة ، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله ﷺ من غزوهم ، ليتخذ بذلك عندهم يداً فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه ، فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها ، وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته .